خطبة عيد الفطر

١٤٤٥هـ

واقع الأمة اليوم

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

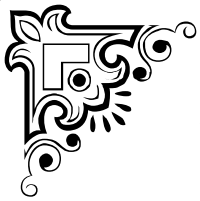

دِينُ اللهِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى بَقَاءِ أَحَدٍ أَوْ ذَهَابِهِ

فَإِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- إِلَهُنَا وَإِلَهُ آبَائِنَا الْأَقْدَمِينَ، رَبُّنَا وَرَبُّ الْعَالَمِينَ، اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- لَمْ يَجْعَلْ دِينَهُ مُتَوَقِّفًا عَلَىٰ بَقَاءِ أَحَدٍ أَوْ ذَهَابِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ دِينَهُ مُتَوَقِّفًا عَلَىٰ وُجُودِ شَيْءٍ أَوْ عَدَمِهِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَخْبَرَنَا فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ -وَهُوَ خَيْرُ الْكَائِنَاتِ وَسَيِّدُهُمْ- مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ، ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّهِ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَمْ يَجْعَلْ هَذَا الدِّينَ مُرْتَبِطًا بِوُجُودِ أَحَدٍ أَوْ عَدَمِهِ، وَلَا بِبَقَائِهِ وَلَا بِذَهَابِهِ؛ لِأَنَّهُ دِينُهُ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَدَّرَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ وَخَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ وَكَلِيمِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْمَوْتِ، وَاحْتَارَ الْأَصْحَابُ رضي الله عنهم؛ وَمِنْهُمْ مَنْ هَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ(١) فِي الطُّرُقَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُبْلِسَ(٢) فَلَمْ يَحِرْ جَوَابًا(٣)، وَلَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ(٤)، وَحُقَّ لَهُ؛ فَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

---

(١) هَامَ عَلَىٰ وَجْهِهِ: ذَهَبَ هَائِمًا لَا يدْرِي أَيْنَ يَتَّجِهُ.

(٢) أُبْلِسَ: سَكَتَ هَمًّا وَحُزْنًا.

(٣) لَمْ يَحِرْ جَوَابًا: أَيْ لَمْ يَرُدَّ جوابًا.

(٤) لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ: لَمْ تَصْدُرْ عَنْهُ وَلَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَأَمَّا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه؛ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَىٰ فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِـ(السُّنْحِ)[١] حتَّىٰ نَزَلَ فَدَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ، فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُغَشًّىٰ بِثَوْبِ حِبَرَةٍ[٢]، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللهِ! لَا يَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا»، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: «اجْلِسْ يَا عُمَرُ!»، فَأَبَىٰ عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «أَمَّا بَعْدُ: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران:١٤٤]»[٣].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، لَمْ يَجْعَلْ رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- دِينَهُ مُتَوَقِّفًا عَلَىٰ بَقَاءِ أَحَدٍ وَلَا ذَهَابِهِ، «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ».

حَتَّىٰ الْبَنِيَّةُ[٤] الْمُقَدَّسَةُ.. حَتَّىٰ الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ تَزُولُ، وَيَبْقَىٰ دِينُ اللهِ رَبِّ

(١) يقع بالعالية شرق المسجد النبوي بالمدينة المنورة غرب جزيرة العرب.
(٢) مُغَطًّىٰ بثَوبِ حِبَرَةٍ، وهو مِن ثِيابِ اليَمَنِ يكونُ مِن قُطنٍ أو كَتَّانٍ مُخطَّطٍ.
(٣) أخرجه البخاري (١٢٤١) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
(٤) البَنِيَّةُ: كلُّ ما يُبْنَىٰ، وتُطلق علىٰ الكعبة.

الْعَالَمِينَ، فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**»، وَيَقُولُ -كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ -عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ-»(٢): «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أَسْوَدُ أَفْحَجُ** -قَدْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ سَاقَيْهِ-، **يَنْقُضُهَا حَجَرًا حَجَرًا**».

أَفَإِنْ كُنْتَ حَيًّا وَقْتَهَا تَرْتَدُّ عَلَىٰ عَقْبَيكَ، وَتَنْكُصُ عَلَىٰ دُبُرَيْكَ؟! حَاشَا وَكَلَّا، «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ».

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

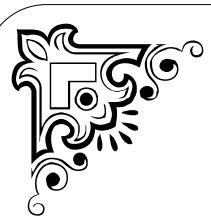

الثَّبَاتُ عَلَى الدِّينِ فِي زَمَانِ شُيُوعِ الْفِتَنِ

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**».

تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ؟!».

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»(١).

إِنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ، مَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ.

«**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ**».

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»(٢)، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ -عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ-».

ثُمَّ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٥٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ**»، كَانَ نَائِمًا ﷺ فَاسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هَكَذَا** -وَحَلَّقَ بِأُصْبَعَيْهِ ﷺ-».

قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟!».

قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»(١).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ -وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ -أَيْ: حِصْنٍ مِنْ حُصُونِهَا كَانَ عَلَيْهِ-، فَقَالَ: «**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَىٰ؟**».

قَالَ: «**إِنِّي لَأَرَىٰ مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ**»(٢).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث أم المؤمنين زينب رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٨)، ومسلم (٢٨٨٥) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»، وفي رواية أخرجها الترمذي (٢١٩٧)، وأبو يعلىٰ (٤٢٦٠)، والحاكم (٨٣٥٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**تكونُ بينَ يدي السَّاعةِ فِتَنٌ كقطَعِ اللَّيلِ المظلِمِ يصبحُ الرَّجلُ فيها مؤمِنًا ويمسي كافِرًا ويمسي مؤمِنًا**
=

«سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»(١).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ عَامَّتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ، الْمُتَمَسِّكُ فِيهَا يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَىٰ الْجَمْرِ»(٢).

يَقُولُ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم: «لِلْمُتَمَسِّكِ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»، مِمَّنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِكُمْ.

قَالُوا: «مِنَّا أَمْ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**بَلْ مِنْكُمْ**»(٣).

=

ويصبحُ كافِرًا يبيعُ أقوامٌ دينَهم بعرَضٍ منَ الدُّنيا».

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤).

(٣) صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٧٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

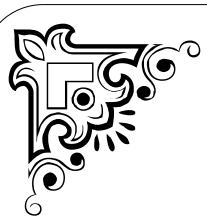

الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ سَبِيلُ الْمَخْرَجِ مِنَ الْفِتَنِ

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**»(١): يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: الْفِتَنُ تَنْزِلُ خِلَالَ دِيَارِ الصَّحَابَةِ -وَهُوَ حَيٌّ ﷺ- كَوَقْعِ الْقَطْرِ؛ فَمَا يَكُونُ مِنَّا نَحْنُ، وَفِي زَمَانِنَا نَحْنُ؟!! وَمَا الْمَخْرَجُ وَمَا الْعِصْمَةُ؟!!

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا بَعْدِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي**»(٢).

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ بِالنَّظَرِ فِي كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَتَدَبَّرُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ نَظَرَ فَهْمٍ وَنَظَرَ مَعْرِفَةٍ بِأَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- جَعَلَ جِبِلَّةً فِي خَلْقِهِ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَوْ قَرَأَ كِتَابًا فِي الطِّبِّ، أَوْ كِتَابًا فِي الْفَلَكِ فَإِنَّهُ لَا يَحْرِصُ عَلَىٰ نَصِّهِ، وَإِنَّمَا يَحْرِصُ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، وَمَا اسْتَشْكَلَ عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ وَكَلَهُ لِعَالِمِهِ، وَبَحَثَ عَنِ الْعَالِمِ بِهِ حَتَّىٰ يَسْتَجْلِيَهُ، وَحَتَّىٰ يُزِيلَ الْغِشَاوَةَ الْقَائِمَةَ عَلَيْهِ دُونَ عَيْنَيْهِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٧٨٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي تارِكٌ فيكُم ما إن تمسَّكتُمْ بِهِ لن تضلُّوا بَعدي أحدُهُما أعظَمُ منَ الآخرِ: كتابُ اللهِ حَبلٌ ممدودٌ منَ السَّماءِ إلىٰ الأرضِ. وعِترتي أَهْلُ بيتي، ولَن يتفرَّقا حتَّىٰ يَرِدا عليَّ الحوضَ فانظُروا كيفَ تخلُفوني فيهِما**».

وَكِتَابُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ذَمَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَقْوَامًا لَا يَفْقَهُونَهُ، وَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِيهِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَهُ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالنَّظَرِ فِي كِتَابِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ الْمَخْرَجُ وَالْعِصْمَةُ، وَمَهْمَا حَدَثَ فِي الْعَالَمِ مِنْ أَمْرٍ، وَمَهْمَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ مِنْ مِحْنَةٍ، وَمَهْمَا اجْتَاحَ الْعَالَمَ مِنْ فِتَنٍ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَإِنَّنَا نَعْبُدُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَنَعْتَصِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

عِبَادَ اللهِ! «**سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**»، سَتَكُونُ جَوَائِحُ، سَيَكُونُ هَرْجٌ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ، سَتَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أُمُورٌ؛ يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، تَصِيرُ السَّنَةُ مِنْ قِلَّةِ بَرَكَةِ الْوَقْتِ كَالشَّهْرِ، وَيَصِيرُ الشَّهْرُ كَالْأُسْبُوعِ، وَيَصِيرُ الْأُسْبُوعُ كَالْيَوْمِ، وَيَصِيرُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَصِيرُ السَّاعَةُ كَالضُّرْمَةِ مِنَ النَّارِ، «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ**»(١) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

«**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَىٰ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٦) واللَّفظُ له، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣١)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

«**وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**» يَعْنِي: يَكْثُرُ الْقَتْلُ كَمَا فَسَّرَهَا الرَّسُولُ ﷺ، «**لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ**»(١).

أُمُورٌ عَظِيمَاتٌ -عِبَادَ اللهِ- الْمَخْرَجُ مِنْهَا فِي كِتَابِ اللهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَإِنَّ النَّاسَ الْيَوْمَ قَدْ مَتَّعَهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِثَمَرَاتِ الْعُقُولِ، كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَحَصَّلَ عَلَىٰ مَلَذَّاتِهَا بِضَغْطٍ عَلَىٰ زِرٍّ؛ بَلْ إِنَّ النَّاسَ اسْتَغْنَوْا عَنِ الْأَزْرَارِ، إِذَا مَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ بَابًا مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَقِفَ أَمَامَهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً حَتَّىٰ يَفْتَحَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ -بِفَضْلِ اللهِ-، مَا أَنْ تَضَعَ يَدَكَ تَحْتَ الصُّنْبُورِ، لَا تُكَلِّفُ خَاطِرَكَ حَرَكَةً حَتَّىٰ يَصُبَّ مَاءَهُ عَلَيْكَ، إِذَا مَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْعَدَ مَكَانًا مَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَضَعَ الْقَدَمَ عَلَىٰ سُلَّمٍ كَهْرُبَائِيٍّ، فَإِذَا هُوَ صَاعِدٌ بِكَ بِغَيْرِ حَرَكَةٍ وَلَا جَهْدٍ.

أُمُورٌ عَظِيمَاتٌ، فَالْإِنْسَانُ يَغْزُو الْفَضَاءَ -كَمَا يَقُولُونَ-، الْإِنْسَانُ يُفَجِّرُ الذَّرَّةَ وَيَسْتَخْرِجُ الْمَكْنُونَ، الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ هَذَا كُلَّهُ، وَيَتَأَمَّلُ فِي خَلْقِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِاسْتِنْبَاطِ قَوَانِينِ الْمَادَّةِ الَّتِي خَلَقَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ وَلَكِنْ مَا الْمُحَصِّلَةُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَالَمُ -عِبَادَ اللهِ-؟!

لَمْ يَصِلْ إِلَّا إِلَىٰ إِشْقَاءِ الْبَشَرِ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا إِلَىٰ تَعَاسَةِ الْبَشَرِ، كَمَا قَالَ طَاغُورُ شَاعِرُ الْهِنْدِ الْأَكْبَرُ -وَهُوَ هِنْدُوسِيٌّ كَمَا تَعْلَمُونَ- يَقُولُ لِلْوَاحِدِ مِنْ مُفَكِّرِي الْغَرْبِ: حَقًّا لَقَدِ اسْتَطَعْتُمْ -مَعْشَرَ الْغَرْبِيِّينَ- أَنْ تَطِيرُوا فِي الْفَضَاءِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَالطَّيْرِ، وَاسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَغُوصُوا فِي الْمَاءِ كَالسَّمَكِ؛ وَلَكِنَّكُمْ فَشِلْتُمْ أَنْ تَسِيرُوا عَلَىٰ الْأَرْضِ بِأَقْدَامِكُمْ كَمَا يَسِيرُ النَّاسُ!

حَقًّا؛ طِرْتُمْ كَالطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ، وَغُصْتُمْ كَالسَّمَكِ فِي الْمَاءِ؛ وَلَكِنَّكُمْ فَشِلْتُمْ أَنْ تَسِيرُوا كَمَا يَسِيرُ عَلَىٰ الْأَرْضِ الْأَنَاسِيُّ؛ لِأَنَّكُمْ بَعُدْتُمْ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْحَقِيقَةِ.

نَعَمْ، إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ فِي الْكَوْنِ إِلَهٌ! أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، أَنَّهُ لَا يُحَاسَبُ عَلَىٰ مَا يَأْتِي وَلَا عَلَىٰ مَا يَذَرُ؛ يَقَعُ فِي كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنِ اخْتِلَالِ التَّوَازُنِ الْكَوْنِيِّ مَا تَقَعُ آثَارُهُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي دُنْيَا اللهِ، هَذَا الْعَبَثُ فِي الْهَنْدَسَةِ الْوِرَاثِيَّةِ يُؤَدِّي إِلَىٰ هَذَا الْجُنُونِ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ الْعَالَمُ الْيَوْمَ، هَذَا الْعَبَثُ بِالنِّفَايَاتِ الذَّرِّيَّةِ وَالنَّوَوِيَّةِ، ثُمَّ يَحِيصُونَ بِهَا كَمَا تَحِيصُ الْفَرْخَةُ بِبَيْضَتِهَا، هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ مِنَ التَّلَوُّثِ الْعَامِّ؛ كُلُّهُ لِلْبُعْدِ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ الْمَادِّيَّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَابِعًا مُنْبَثِقًا مِنْ تَصَوُّرٍ إِسْلَامِيٍّ صَحِيحٍ، مِنْ مَنْهَجٍ شَرْعِيٍّ مُسْتَقِيمٍ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُنْبَثِقًا مِنْ هَذَا الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ، ثُمَّ لِيَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خِدْمَةٌ لِخَلْقِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْبَشَرِيَّةَ الْيَوْمَ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالَّذِينَ وَصَلُوا إِلَىٰ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ تُدَمِّرُ الْعَالَمَ كُلَّهُ؛ مَاذَا عِنْدَهُمْ مِنْ مَنْهَجٍ يُعْطُونَ الْبَشَرِيَّةَ إِيَّاهُ؟!!

لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ مَنْهَجٍ يَتَوَازَنُ فِيهِ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ، وَتَسْتَقِيمُ فِيهِ الْمَادَّةُ مَعَ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ.. لَيْسَ فِي الْعَالَمِ مَنْهَجٌ إِلَّا مَنْهَجُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

كِتَابُ اللهِ.. الْزَمُوهُ!

كِتَابَ اللهِ.. كِتَابَ اللهِ، اللهَ اللهَ فِي كِتَابِ اللهِ!

اللهَ اللهَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَكْرَمَ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمَرْحُومَةَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْخَالِدِ، إِذَا مَا جَاءَتِ الْفِتَنُ، وَإِذَا مَا تَوَارَدَتِ الْمِحَنُ، وَإِذَا مَا جَاءَتِ الْهُمُومُ، وَإِذَا مَا زَادَتِ الْكُرُوبُ فَلَيْسَ إِلَّا كَلَامُ اللهِ، نُقْبِلُ عَلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَعُودُ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْمَخْلَصُ -عِبَادَ اللهِ- فِي كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

وَانْظُرْ إِلَىٰ قَانُونِ رَبِّكَ فِي كِتَابِهِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، إِنْ أَرَدْتُمْ مَا عِنْدَ اللهِ فَاحْرِصُوا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ضَرَبَ لَنَا الْمَثَلَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- لَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْعِقَابَ بِآلِ يُونُسَ؛ مَا الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ؟

خَرَجُوا إِلَىٰ الصَّعِيدِ -إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ- تَائِبِينَ رَاجِينَ رَاغِبِينَ، خَرَجُوا بَاكِينَ مُعْوِلِينَ(١) مُنْتَحِبِينَ(٢)، فَرَّقُوا بَيْنَ الرُّضَّعِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ

(١) العَوْلُ: رفعُ الصَّوت بالبكاء والصِّياح.
(٢) مُنتَحِب: بَاكِي بُكَاءً فيهِ شَهِيقٌ وَزَفِيرٌ.

الْبَهَائِمِ بَيْنَ الْفَصَائِلِ وَالْأُمَّاتِ، خَرَجُوا يَبْكُونَ يَضِجُّونَ بِالدُّعَاءِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْعَذَابُ نَازِلٌ وَالتَّوْبَةُ صَاعِدَةٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٩].

هَذَا هُوَ الْمَنْهَجُ -عِبَادَ اللهِ-.

الْعَذَابُ نَازِلٌ عَلَىٰ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُجْرِمِينَ بِأُمَّةِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ، تَمَالَؤُوا عَلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَجَاؤُونَا مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ، وَلَا يُدْفَعُ هَذَا إِلَّا بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

نَعُودُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

نَرْجِعُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ..

نُسْلِمُ الْمَقَادَةَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ مَنْهَجِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٩].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

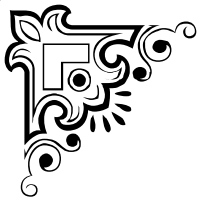

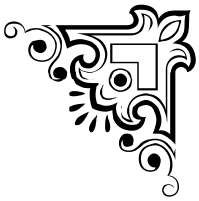

وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ!

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ**»، يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ! هَلُمَّ إِلَىٰ قَصْعَةِ الثَّرِيدِ، هَلُمَّ إِلَىٰ الْكَعْكَةِ الَّتِي صُنِعَتْ عَلَىٰ خَيْرِ صُنْعٍ بِأَكْمَلِ وَجْهٍ، هَلُمَّ إِلَىٰ الْوَلِيمَةِ الَّتِي لَا شَوْكَةَ فِيهَا وَلَا فِيهَا مِنْ لَغَبٍ وَلَا لُغُوبٍ، هَلُمَّ إِلَىٰ الْمَائِدَةِ فَلْيَنْهَشْ كُلٌّ مِنْكُمْ مِنْهَا نَهْشَةً، وَلْيَقْضِمْ كُلٌّ مِنْكُمْ مِنْهَا قَضْمَةً!

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا**».

قَالُوا: «أَوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**لَا، أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنَّكُمْ كَثْرَةٌ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ الْهَيْبَةَ مِنْكُمْ مِنْ صُدُورِ أَعْدَائِكُمْ**».

قَالُوا: «مَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» =

قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ: عَلَىٰ حُبِّ الْبَقَاءِ، وَكَرَاهِيَةِ الْمَوْتِ، عَلَىٰ حُبِّ الْمَالِ وَكَرَاهِيَةِ اللِّقَاءِ.

النَّبِيُّ ﷺ يُنْطِقُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْجَلِيلِ، «**يُوشِكُ أَنْ تَتَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ**».

وَأَيْنَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا الْمَوْعُودِ -عِبَادَ اللهِ-؟!!

أَيْنَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ هَذَا التَّحْذِيرِ -عِبَادَ اللهِ-؟!!

الرَّسُولُ ﷺ شَبَّهَكُمْ بِالْقَصْعَةِ الْمَأْكُولَةِ، وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ -عِبَادَ اللهِ-!

=

(٤٢٩٧) من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ.

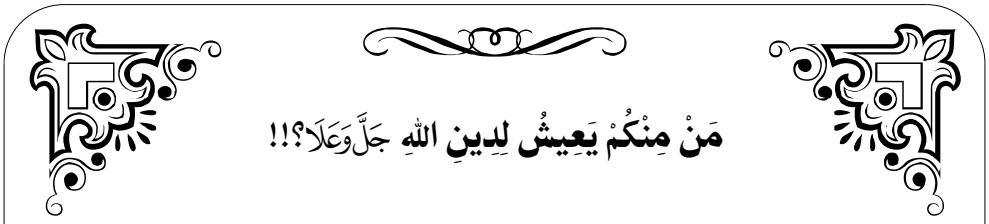

مَنْ مِنْكُمْ يَعِيشُ لِدِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؟!!

عِنْدَمَا يَعِيشُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ يَكُونُ مَحْدُودًا جِدًّا؛ أَمَّا عُمُرُهُ فَمُنْذُ أَنْ يَعِيَ إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ.

وَأَمَّا عِنْدَمَا يَعِيشُ لِلْآخَرِينَ، عِنْدَمَا يَحْيَا لِفِكْرَةٍ، عِنْدَمَا يَحْيَا لِمَبْدَأٍ، عِنْدَمَا يَعِيشُ الْإِنْسَانُ لِلْخُلُودِ، عِنْدَمَا يَعِيشُ الْإِنْسَانُ لِلدِّينِ، عِنْدَمَا يَحْيَا الْإِنْسَانُ بِأَنْفَاسِهِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ يَكُونُ عُمُرُهُ كَعُمُرِ الدُّنْيَا فِي ذَلِكَ الْمَوْكِبِ الْمُبَارَكِ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ السَّاعَةَ.

صَغِيرُونَ نَحْنُ جِدًّا، قَلِيلُونَ نَحْنُ جِدًّا، حَقِيرُونَ نَحْنُ جِدًّا، أَذِلَّاءُ نَحْنُ جِدًّا؛ كُلُّ ذَلِكَ إِذَا مَا عِشْنَا لِأَنْفُسِنَا فَقَطْ، وَأَمَّا عِنْدَمَا نَحْيَا لِلْآخَرِينَ، عِنْدَمَا نَحْيَا لِخِدْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، عِنْدَمَا نَحْيَا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عِنْدَمَا نَحْيَا لِدِينِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا؛ عِنْدَئِذٍ نَتَحَصَّلُ عَلَىٰ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، نَتَحَصَّلُ عَلَىٰ السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ.

مَنْ مِنْكُمْ يَعِيشُ لِلدِّينِ -عِبَادَ اللهِ-؟!!

مَنْ مِنْكُمْ لَا يَعِيشُ لِغَيْرِ نَفْسِهِ -عِبَادَ اللهِ-؟!!

مَنْ مِنْكُمُ الَّذِي يَحْيَا لِغَيْرِ ذَاتِهِ، لِغَيْرِ وُجُودِهِ، لِغَيْرِ آمَالِهِ وَأَوْهَامِهِ؟!!

مَنْ مِنْكُمْ يَحْيَا لِغَيْرِ مَلَذَّاتِهِ وَشَهَوَاتِهِ؟!!

حَتَّىٰ الَّذِينَ يَقُولُونَ -وَقَدْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ تَجَاوَزُوا الْحَدَّ الْمَعْقُولَ- الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّنَا نَحْيَا لِأَبْنَائِنَا، نَحْيَا لِأُسْرَتِنَا، أَقُولُ لَكَ: إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ، إِنَّهُمْ يَحْيَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ، يَعِيشُونَ لِذَوَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ أَبْنَاءَهُمْ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِهِمْ -لَا يَنْذِرُونَ هَؤُلَاءِ الْأَبْنَاءَ للهِ- أَبْنَاؤُهُمْ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِهِمُ امْتِدَادٌ لَهُمْ، وَعَلَيْهِ؛ فَهُمْ عِنْدَمَا يَعِيشُونَ لِأَبْنَائِهِمْ وَلِأُسَرِهِمُ الْمَحْدُودَةِ إِنَّمَا يَعِيشُونَ لِأَنْفُسِهِمْ؛ إِنَّمَا يَعِيشُونَ لِذَوَاتِهِمْ، لَا يَتَعَدُّونَ الْقِشْرَةَ الظَّاهِرَةَ، وَهِيَ قِشْرَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ الزَّائِفَةِ عَلَىٰ بُؤْسٍ حَقِيقِيٍّ!

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ إِنْسَانًا إِلَّا إِذَا عَاشَ لِغَيْرِهِ، إِلَّا إِذَا عَاشَ لِلْآخَرِينَ، إِلَّا إِذَا بَذَلَ نَفْسَهُ لِدِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

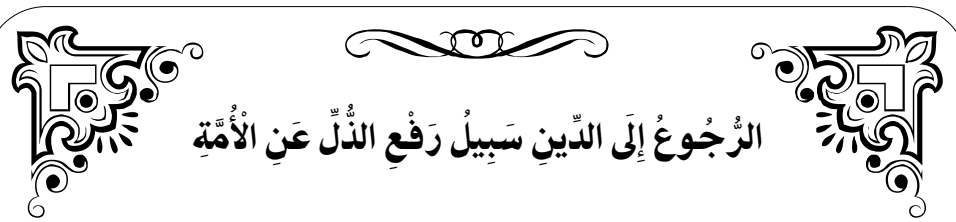

الرُّجُوعُ إِلَى الدِّينِ سَبِيلُ رَفْعِ الذُّلِّ عَنِ الْأُمَّةِ

لَنْ يُرْفَعَ عَنْكُمْ مَا هُوَ نَازِلٌ بِكُمْ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ، وَلَنْ يُرْفَعَ الذُّلُّ عَنْكُمْ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَأَحْمَدَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ** -وَهِيَ ضَرْبٌ[1] مِنَ الْحِيَلِ الرِّبَوِيَّةِ-، **وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ؛ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ**»[2].

الذُّلُّ النَّازِلُ بِكُمْ -عِبَادَ اللهِ- إِنَّمَا هُوَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

عِنْدَكُمْ خَيْرُ مَنْهَجٍ لِلْبَشَرِ، عِنْدَكُمُ النُّورُ وَالضِّيَاءُ وَأَنْتُمْ تَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ تَحْجِبُوهُ.

مَا الْعَمَلُ -إِذَنْ-؟!!

---

(١) نَوْعٌ.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

يَسْتَبْدِلُكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَيَأْتِي بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ لَا يَكُونُونَ أَمْثَالَكُمْ، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

فَاحْذَرُوا رَبَّكُمْ -عِبَادَ اللهِ-، احْذَرُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَلَا تَأْمَنُوا جَانِبَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ! عِنْدَمَا تَنْظُرُونَ دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا مَا تَوَلَّىٰ الْقَوْمُ اسْتَبْدَلَهُمْ، وَجَاءَ بِخَيْرٍ مِنْهُمْ يُقِيمُونَ دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْأَرْضِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَيْأَسُ أَبَدًا -عِبَادَ اللهِ-، وَلَا نَقْنَطُ أَبَدًا -عِبَادَ اللهِ-.

❀❀❀

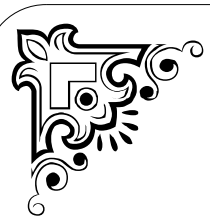
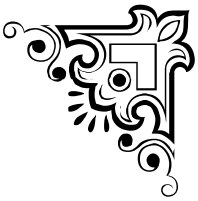

الْيَقِينُ بِنَصْرِ اللهِ الْأُمَّةَ، وَحَقِيقَةُ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ

مَهْمَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ مِنْ حَدَثٍ يَكُونُ إِيمَانُ الْعَبْدِ عَقِيدَةً مُسَلَّمَةً لَا تَقْبَلُ نَقْضًا، وَلَا تَقْبَلُ إِلَّا الْإِبْرَامَ وَحْدَهُ قُوَّةً مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ؛ كَالْحَقِيقَةِ الرِّيَاضِيَّةِ الثَّابِتَةِ.. أَنَّ وَاحِدًا مُضَافًا إِلَيْهَا وَاحِدًا تُسَاوِي ثِنْتَيْنِ، حَقِيقَةٌ رِيَاضِيَّةٌ قَائِمَةٌ، لَوْ جَاءَ مُشَعْوِذٌ فَقَالَ: أَقْلِبُ لَكَ الْعَصَا حَيَّةً فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ وَبَادِي الرَّأْيِ، ثُمَّ تُؤْمِنُ بِنَقِيضِ ذَلِكَ؟ أَقُولُ: افْعَلْ مَا شِئْتَ؛ وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ الْحَقِيقَةُ قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ.

إِيمَانُنَا إِيمَانُنَا كَمَا هُوَ -عِبَادَ اللهِ-، لَا يَتَحَلْحَلُ وَلَا يَتَزَلْزَلُ مَهْمَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ مِنْ حَدَثٍ، وَمَهْمَا حَدَثَ فِي الْعَالَمِ مِنْ أَمْرٍ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ ثَابِتِينَ -عِبَادَ اللهِ-، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْحَلَّ، وَنَسْتَجْلِي فِيهِ وَجْهَ الْحِكْمَةِ مِمَّا يَحْدُثُ فِي كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ يَقِينًا -عِبَادَ اللهِ- أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مُعِزٌّ رِجَالَهُ، وَأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مُعْلٍ كَلِمَةَ الْحَقِّ خَفَّاقَةً فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ، هُمُ الْأَذِلَّاءُ الْمَحْقُورُونَ، هُمُ الْكَافِرُونَ الْمُجْرِمُونَ، هُمُ الَّذِينَ لَوَّثُوا الْعَالَمَ بِإِجْرَامِهِمْ

عِنْدَمَا اسْتَخْزَىٰ أَهْلُ الْحَقِّ، عِنْدَمَا اسْتَكَانَ أَهْلُ الْعَدْلِ، عِنْدَمَا فَرَّطُوا فِي النَّظَرِ فِي سُنَنِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، وَقَعَدُوا لَاطِئِينَ[١] بِالْأَرْضِ، يَشْتَجِرُونَ بَيْنَهُمْ، يَتَصَارَعُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، يَتَهَارَشُونَ كَتَهَارُشِ الْحُمُرِ، يَتَسَافَدُونَ[٢] كَالْأَنْعَامِ، يَتَّبِعُونَ كُلَّ نَاعِقٍ، فَفَرَّطُوا فِي الْأَمَانَةِ، وَسَبَقَتِ الْقَارَّةُ الْمَشْؤُومَةُ الَّذِينَ كَانُوا وَثَنِيِّينَ، عِنْدَمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ كَانُوا يَعْبُدُونَ إِلَهًا يَذْهَبُونَ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ بِكُلِّ سَبِيلٍ، يُقَدِّسُونَهُ وَيَحْتَرِمُونَهُ، يُسَمُّونَهُ (أَوْدُين)، هَذَا الْإِلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ الْوَثَنِيُّونَ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ مِنَ الْقَارَّةِ الْمَشْؤُومَةِ الَّتِي صَدَّرَتْ إِلَىٰ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ شُذَّاذَ الْآفَاقِ.

هُمْ أَجْدَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ الْحَضَارَةَ الْيَوْمَ، الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُزِيلُوا دِينَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ كَوْنِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!

هَؤُلَاءِ هُمْ أَحْفَادُ أُولَئِكَ الْخَوَنَةِ الْمُجْرِمِينَ، هُمْ أَحْفَادُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ مَكَانٍ هُنَاكَ، تِلْكَ الْقَارَّةُ الْمَشْؤُومَةُ تُصَدِّرُ إِلَىٰ الْعَالَمِ الْجَدِيدِ -وَلَيْسَ جَدِيدًا إِلَّا فِي فِسْقِهِ، وَقَدْ دَخَلَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَدِيدُ التَّارِيخَ؛ نَعَمْ، سَيَذْكُرُهُ التَّارِيخُ يَوْمًا بِأَنَّهُ الْعَالَمُ الَّذِي رَفَعَ إِنْسَانًا إِلَىٰ الْقَمَرِ وَهُوَ غَائِصٌ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ فِي الْوَحْلِ وَالْقَذَارَةِ وَالْعَفَنِ، نَعَمْ؛ سَيَذْكُرُ التَّارِيخُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ -وَالتَّارِيخُ حَكَمٌ لَا يَرْحَمُ، حَكَمٌ لَا يُحَابِي، وَمَنْ دَخَلَهُ مِنْ بَابِ قُمَامَاتِهِ

(١) لاصقين بها.

(٢) يَزْنون ويرتكِبون الفاحشةَ في الطَّريقِ دُون حياءٍ ولا سِترٍ مِثلَ الأنعام.

ذَهَبَ إِلَىٰ مَزْبَلَتِهِ-؛ التَّارِيخُ سَيَذْكُرُ يَوْمًا أَنَّ أُولَئِكَ الْمُتَحَضِّرِينَ هُمُ الَّذِينَ رَفَعُوا إِنْسَانًا إِلَىٰ الْقَمَرِ وَهُمْ غَارِقُونَ إِلَىٰ رُكَبِهِمْ -بَلْ إِلَىٰ أَوْسَاطِهِمْ- فِي حَمْأَةِ الرَّذِيلَةِ فِي حَمْأَةِ الطِّينِ، وَلَكِنْ لَا يَلُومَنَّ أَحَدٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

عِبَادَ اللهِ! عَلَيْنَا أَنْ نَعُودَ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ غَيْرَ يَائِسِينَ، غَيْرَ مُحْبَطِينَ!

عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي كِتَابِ اللهِ، نَتَأَمَّلُ قَوْلَ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾: يُنْفِقُونَهَا إِعْلَامًا وَدِعَايَةً، يُنْفِقُونَهَا اقْتِصَادًا وَسِيَاحَةً، يُنْفِقُونَهَا عَتَادًا وَرِجَالًا، يُنْفِقُونَهَا مُؤَامَرَاتٍ وَاضْطِهَادًا.

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾: يُجَيِّشُونَ الْجُيُوشَ، وَيَتَحَالَفُونَ مَعَ الْحُلَفَاءِ فِي وَجْهِ دِينِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ.

إِذَنْ؛ فَلْتَأْتِ السُّخْرِيَةُ الْعُظْمَىٰ بِهَؤُلَاءِ الْمَنْكُودِينَ، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

دِينُكُمْ ظَاهِرٌ -عِبَادَ اللهِ-!

دِينُكُمْ غَالِبٌ -عِبَادَ اللهِ-!

لَا تَيْأَسُوا، لَا تَيْأَسُوا وَتُوبُوا، تُوبُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَأَمَّلُوا فِي هَذَا الْقَوْلِ الشَّرِيفِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ...﴾: انْظُرْ إِلَىٰ (ثُمَّ) هَذِهِ؛ فَإِنَّهَا لِلتَّرَاخِي بَعْدَ مُدَّةٍ مَدِيدَةٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ.

لَا تَيْأَسُوا، لَا تَيْأَسُوا -عِبَادَ اللهِ-!

وَلَا تَقْنَطُوا -عِبَادَ اللهِ-، وَلَكِنِ ارْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾: حَسْرَةٌ وَغَلَبٌ فِي الْحَيَاةِ وَاقِعٌ بِأُولَئِكَ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَهَوَانٌ كَبِيرٌ -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ-.

وَهَذَا خَبَّابٌ -كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1]- يَقُولُ: «شَكَوْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ» -وَقَدْ جَاءَ خَبَّابٌ رضي الله عنه وَقَدْ عُذِّبَ وَوُضِعَ الْجَمْرُ الْمَحْمِيُّ فِي النَّارِ فِي ظَهْرِهِ، فَمَا طُفِئَ الْجَمْرُ إِلَّا بِالدُّهْنِ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ ظَهْرِ خَبَّابٍ، يَا لَرَائِحَةِ اللَّحْمِ الْمَشْوِيِّ تَفُوحُ مِنْهُ-.

يَقُولُ: «أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟».

قَالَ: فَاسْتَوَىٰ وَكَانَ مُضْطَجِعًا وَقَالَ ﷺ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ،**

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) من حديث خبَّاب بن الأرتّ رضي الله عنه.

وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ».

اثْبُتُوا -عِبَادَ اللهِ-، وَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-!

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدِ اسْتَوَىٰ جَالِسًا: «**وَاللهِ! لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ؛ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».

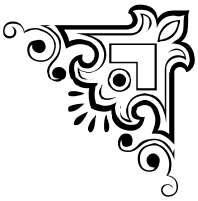

تُوبُوا إِلَى اللهِ، وَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً!

اثْبُتُوا -عِبَادَ اللهِ-!

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-!

ارْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-!

يَقُولُ نَبِيُّكُمْ ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**».

قِيلَ: «مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

قَالَ: «**الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ**»(١).

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-، وَأَصْلِحُوا فَسَادَ هَذِهِ الْقُلُوبِ، عَوِّلُوا عَلَىٰ الْقَلْبِ -عِبَادَ اللهِ-، عَوِّلُوا عَلَىٰ الْأَرْوَاحِ؛ فَإِنَّ الرُّوحَ هِيَ أَطْيَبُ شَيْءٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ: أَنَّهَا مَتَىٰ خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ أَنْتَنَ، هَذِهِ الرُّوحُ أَطْيَبُ شَيْءٍ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ مَتَىٰ غَادَرَتِ الْبَدَنَ أَنْتَنَ وَصَارَ جِيفَةً تُزْكِمُ الْأُنُوفَ بِنَتَنِهَا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ، وَعَوِّلُوا عَلَىٰ الْقُلُوبِ -عِبَادَ اللهِ-!

يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ!

يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ!

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ!

فَارِقُوا مُوَاضَعَاتِكُمْ!

طَلِّقُوا سَيِّءَ عَادَاتِكُمْ!

ارْجِعُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ- قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْعَذَلَ[1]، وَقَبْلَ أَنْ تَقَعَ الْوَاقِعَةُ، وَعِنْدَئِذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

تُوبُوا الْآنَ -عِبَادَ اللهِ-!

عَاهِدُوا رَبَّكُمْ جَلَّوَعَلَا عَلَىٰ الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ، عَلَىٰ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ!

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

رُدُّوا الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا!

افْزَعُوا إِلَىٰ اللهِ بِالدُّعَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا رَادَّ لِهَذَا الْأَمْرِ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) «سبَق السَّيفُ العَذَلَ»: مَثَلٌ يُضرب لما قد فات ولا يُستطاع إدراكُه، قُضِي الأمرُ، فات الأوانُ.

لَنْ يَرْفَعَ عَنَّا الْكَرْبَ وَلَنْ يَشْغَلَ عَنَّا أَعْدَاءَنَا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ وَلَكِنْ إِنْ تَمَكَّنُوا مِنَّا -عِبَادَ اللهِ- مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!

كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً -عِبَادَ اللهِ-!

تَآلَفُوا طَوَائِفَ طَوَائِفَ.. طَوَائِفَ الشَّعْبِ الَّتِي بَعُدَتْ عَنْ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَا طَوَائِفَ الشَّعْبِ الَّتِي قَدْ رَجَعَتْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَمَزَّقَتْهَا الْحِزْبِيَّةُ، وَمَزَّقَتْهَا الْمَنَاهِجُ الْمُخْتَلِفَةُ؛ كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً -عِبَادَ اللهِ-!

اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا!

إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ..

إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ..

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ- فَإِنَّ مَنْ كَانَ ذَا بَصِيرَةٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ الْأَحْدَاثِ مِنْ خَلَلِ سِتْرٍ رَقِيقٍ وَكَأَنَّهُ يَرَاهَا رَأْيَ الْعَيْنِ.

عِبَادَ اللهِ! كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً، شَعْبًا وَاحِدًا مُتَكَاتِلًا، شَعْبًا وَاحِدًا مُتَعَاوِنًا، شَعْبًا وَاحِدًا مُتَآزِرًا!

كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً -عِبَادَ اللهِ-؛ فَإِنَّ أَعْدَاءَكُمْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَكُمْ، وَإِنَّ أَعْدَاءَكُمْ لَا يُصَنِّفُونَكُمْ وَلَا يَجْعَلُونَكُمْ طَوَائِفَ وَجَمَاعَاتٍ، إِنَّ أَعْدَاءَكُمْ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمَحْكُومٍ، وَلَا بَيْنَ شُرْطَةٍ وَشَعْبٍ، وَلَا بَيْنَ جَيْشٍ وَمَدَنِيِّينَ، أَعْدَاؤُكُمْ لَا يُفَرِّقُونَ هَذَا التَّفْرِيقَ، هَذَا الْوَهْمُ الْكَائِنُ فِي الْأَذْهَانِ

لَيْسَ لَهُ وُجُودٌ إِلَّا فِي أَذْهَانِ السُّذَّجِ وَالْبُسَطَاءِ، وَأَمَّا عَدُوُّكُمْ فَعَدُوٌّ لَكُمْ، أَمَّا عَدُوُّكُمْ فَيُرِيدُ قَتْلَكُمْ وَانْتِهَاكَ أَعْرَاضِكُمْ.

كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً مُتَآلِفِينَ -عِبَادَ اللهِ-، طَلِّقُوا الْخِلَافَاتِ، وَانْبُذُوا الْفُرْقَةَ جَانِبًا، وَأَقْبِلُوا عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَيْحَكُمْ! أَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ أَلَا تَشْتَاقُونَ؟!! أَنْتُمْ لَا تَخَافُونَ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَلَا تَشْتَاقُونَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟!!

وَيْحَكُمْ ثُمَّ وَيْحَكُمْ! مَا هَذِهِ الْآمَالُ الضَّعِيفَةُ الَّتِي بِهَا تَتَمَسَّكُونَ؟!!

مَا هَذِهِ الْأَوْهَامُ الْمَحْقُورَةُ الَّتِي عَلَيْهَا تُعَوِّلُونَ؟!!

وَيْحَكُمْ ثُمَّ وَيْحَكُمْ! لِمَ لَا تَنْتَبِهُونَ، لِمَ لَا تَسْتَيْقِظُونَ؟!!

وَيْحَكُمْ ثُمَّ وَيْحَكُمْ! أَلَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ؟!!

وَيْحَكُمْ ثُمَّ وَيْحَكُمْ! أَلَا تَلْجَؤُونَ إِلَىٰ مَنْ يَكْشِفُ الضُّرَّ وَبِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأَشْيَاءِ؟!!(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ» - خُطْبَةُ عِيدِ الْأَضْحَىٰ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٣هـ.

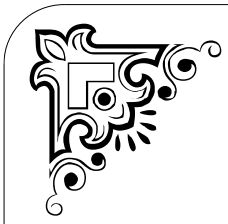
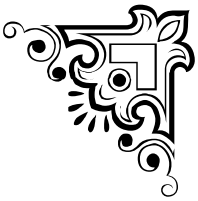

الْفَرْحَةُ بِعِيدِ الْفِطْرِ الْمُبَارَكِ

عِبَادَ اللهِ! الْيَوْمَ تُشْرِقُ عَلَيْنَا شَمْسُ عِيدِ الْفِطْرِ الْمُبَارَكِ بِبَهْجَتِهِ وَفَرْحَتِهِ، وَأُنْسِهِ وَمَسَرَّتِهِ؛ لِيَفْرحَ النَّاسُ وَيَنْعَمُوا بِفَضْلِ اللهِ -تَعَالَى- وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ، حَيْثُ يَقُولُ الْحَقُّ -سُبْحَانَهُ-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

الْعِيدُ فِي الْإِسْلَامِ دَلَّتْ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ نُصُوصِ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَوَىٰ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ -كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «**قَدْ أَبْدَلَكُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا، يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَىٰ** -أَيْ: وَيَوْمَ الْأَضْحَىٰ-»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب الصلاة: باب صلاة العيدين، (١١٣٤)، والنسائي في «المجتبىٰ»: كتاب صلاة العيدين، (١٥٥٦)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٢٩٤/ رقم:١٠٩١).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح»، وكذا قال البغوي في «**شرح السنة**»: (٤/ ٢٩٢/ رقم:١٠٩٨)، والنووي في «خلاصة الأحكام»: (٢/ ٨١٩/ رقم:٢٨٨٣)، وابن حجر في «**بلوغ المرام**»: (ص:٢٠٩، رقم:٤٩٩) و«**فتح الباري**»: (٢/ ٤٤٢)، والألباني في «**السلسلة الصحيحة**»: (٥/ ٣٤/ رقم:٢٠٢١).

عِيدُ الْفِطْرِ مَوْسِمُ فَرْحَةٍ عَقِبَ تَأْدِيَةِ فَرِيضَةِ الصِّيَامِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، فَهُوَ عِيدُ الْفَرْحَةِ بِأَدَاءِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ، وَالظَّفَرِ بِجَائِزَةِ الْغُفْرَانِ -إِنْ شَاءَ اللهُ-، وَاسْتِحْقَاقِ الدُّخُولِ إِلَىٰ جَنَّةِ الْخُلْدِ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَهُوَ الْبَابُ الْمُخَصَّصُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ لِلصَّائِمِينَ.

وَعِيدُ الْأَضْحَىٰ مَوْسِمُ فَرْحَةٍ عَقِبَ تَأْدِيَةِ جُمْهُورٍ عَظِيمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَهَمَّ وَأَكْبَرَ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَهُوَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ، وَقَدْ جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» مِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**» أَيْ: هُوَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْحَجِّ(١).

فَالْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يُشَارِكُونَ فِي الْفَرَحِ بِهَذَا الْعِيدِ؛ لِأَنَّهُمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ.

الْأَعْيَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ مَوَاسِمُ فَرَحٍ عَامٍّ تَكُونُ عَقِبَ تَأْدِيَةِ عِبَادَةٍ عَظِيمَةٍ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَعِيدُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ تَتْوِيجٌ لِصَلَوَاتِ أُسْبُوعٍ كَامِلٍ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن»: كتاب المناسك: باب من لم يدرك عرفة، (١٩٤٩)، والترمذي في «الجامع»: كتاب الحج: باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، (٨٨٩)، والنسائي في «المجتبىٰ»: كتاب مناسك الحج: فرض الوقوف بعرفة، (٥/ ٢٥٦ و٢٦٤)، وابن ماجه في «السنن»: كتاب المناسك: باب من أتىٰ عرفة، قبل الفجر ليلة جمع، (٣٠١٥)، من حديث: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمُرَ الدِّيلِيِّ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وكذا صححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والألباني في «إرواء الغليل» (٤/ ٢٥٦/ رقم:١٠٦٣).

إِنَّ أَيَّامَ الْأَعْيَادِ فِي الْإِسْلَامِ لَا صَوْمَ فِيهَا، هِيَ أَيَّامُ ضِيَافَةِ الرَّحْمَنِ، أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ للهِ ﷻ، أَيَّامُ فُسْحَةٍ لِشَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ وَاللَّهْوِ مِمَّا أَذِنَ بِهِ الشَّرْعُ.

الْعِيدُ مُنَاسَبَةٌ كَرِيمَةٌ لِالْتِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَاجْتِمَاعِهِمْ، وَتَفَقُّدِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَهَذَا مِنَ الْغَايَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تُحَقِّقُهَا الْأَعْيَادُ فِي الْإِسْلَامِ.

إِنَّ الْعِيدَ فَاصِلٌ زَمَنِيٌّ يَلْتَفِتُ فِيهِ الْمُسْلِمُ إِلَىٰ أَدَاءِ وَاجِبَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ تَتَعَمَّقُ بِهَا مَعَانِي الْوِحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَعَانِي الْجَسَدِيَّةِ الْوَاحِدَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَالْأَعْيَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَوْقِيفِيَّةٌ عَنِ الشَّارِعِ لَا يَصِحُّ التَّعْدِيلُ فِيهَا، وَلَا الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا؛ إِذِ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا مِنَ الْبِدَعِ الْمَرْفُوضَةِ.(*).

إِنَّ فُرْصَةَ الْعِيدِ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِلتَّوَاصُلِ وَمُحَارَبَةِ الْهَجْرِ وَالْقَطِيعَةِ، وَتَطْيِيبِ خَاطِرِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، فَلَا حِقْدَ وَلَا هَجْرَ، وَلَا شَحْنَاءَ وَلَا ضَغِينَةَ.

وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ لِصَلَاةِ الْعِيدِ اجْتِمَاعَهُمْ عَلَىٰ صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيَتَذَكَّرُ بِتَفَاضُلِهِمْ فِي هَذَا الْمُجْتَمَعِ التَّفَاضُلَ الْأَكْبَرَ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «فِقْهُ الصِّيَامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْأَرْبَعُونَ: الْعِيدُ فِي الْإِسْلَامِ»، الْأَرْبِعَاءُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ٦-٦-٢٠١٨م.

وَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَشُكْرِهِ، وَأَنْ يَعْمُرَ هَذِهِ الْأَوْقَاتَ بِالطَّاعَةِ، وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَلَا يُمْضِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ كَمَا عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

أَيَّامُ الْعِيدِ لَيْسَتْ أَيَّامَ لَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، بَلْ هِيَ أَيَّامُ عِبَادَةٍ وَشُكْرٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَلَا يَعْرِفُ لَهَا حَدًّا، وَمِنْ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ وَيَرْضَاهَا صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَزِيَارَةُ الْأَقَارِبِ، وَتَرْكُ التَّبَاغُضِ وَالتَّحَاسُدِ، وَالْعَطْفُ عَلَىٰ الْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ، وَإِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْفَقِيرِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «فِقْهُ الصِّيَامِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: مِنْ مُخَالَفَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعِيدِ ٢»، الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٩هـ| ٨-٦-٢٠١٨م.

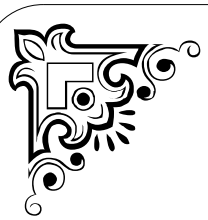

صِلَةُ الرَّحِمِ وَالصَّدَقَاتُ فِي الْعِيدِ

عِبَادَ اللهِ! اتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، أَرُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ مِنْكُمْ خَيْرًا، صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، ابْسُطُوا أَيْدِيَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا تُعْطُونَ هُوَ الَّذِي يَبْقَىٰ لَكُمْ بَعْدُ، وَأَمَّا مَا تَأْكُلُونَهُ وَتَتَمَتَّعُونَ بِهِ هُوَ الَّذِي سَيَذْهَبُ بَدَدًا وَلَا يَبْقَىٰ أَبَدًا كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ.

ذَبَحَ شَاةً وَأَمَرَ عَائِشَةَ بِأَنْ تَقُومَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: «**مَا صَنَعَتِ الشَّاةُ يَا عَائِشَةُ؟**».

قَالَتْ: «مَا بَقِيَ عِنْدَنَا مِنْهَا إِلَّا الذِّرَاعُ».

قَالَ: «**بَقِيَ كُلُّهَا إِلَّا الذِّرَاعَ**»(١).

اتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ- بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٧٠) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أخبرت: «أنَّهم ذبحوا شاةً فقالَ النَّبيُّ ﷺ ما بقيَ منْها؟ قلت: ما بقيَ منْها إلَّا كتفُها.
قالَ: **بقيَ كلُّها غيرَ كتفِها**».

وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ، وَنَقُّوا نُفُوسَكُمْ، وَأَفِيئُوا بِظِلٍّ حَسَنٍ بِصَدَقَاتِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي آخِرَتِكُمْ وَفِي قُبُورِكُمْ.

اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ رَبَّكُمْ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

أُولَئِكَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ تَقْطِيعُ الْأَرْحَامِ، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طَرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، شَرٌّ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ لِلدَّوَابِّ وَظِيفَةً تُؤَدِّيهَا، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَطَّعُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْوَاصِلَ لِلرَّحِمِ لَيْسَ بِالْمُكَافِئِ الَّذِي يَصِلُ مَنْ وَصَلَهُ وَيُعْطِي مَنْ أَعْطَاهُ، لَا، يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، لَكِنِ الْوَاصِلُ** -أَيْ: لِلرَّحِمِ- **الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وصَلَهَا**»(١).

وَاعْلَمْ أَنَّ يَدَكَ -حِينَئِذٍ- تَكُونُ الْعُلْيَا، وَأَنَّ شَأْنَكَ يَكُونُ عَالِيًا سَامِيًا، كَمَا قَالَ الصَّحَابِيُّ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللهِ!» وَهُوَ يَصِفُ حَالًا فَاشِيَةً فِي دُنْيَا النَّاسِ الْيَوْمَ، بَلْ تَكَادُ تَكُونُ سَائِدَةً «إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيؤُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

هَذِهِ حَالٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**»: وَهُوَ التُّرَابُ الْحَارُّ، كَأَنَّمَا فَتَحُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَفَغَرُوا أَشْدَاقَهُمْ، وَأَنْتَ تَأْتِي بِالتُّرَابِ الْحَارِّ لِتُسِفَّهُمُ الْمَلَّ.

يَقُولُ: «**وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(١).

فَأَبْشِرُوا -عِبَادَ اللهِ-.(*).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «الْفِنْدُ» - الْأَحَدُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٤٠هـ| ١١-٨-٢٠١٩م.

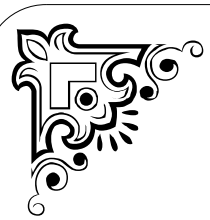

عِيشُوا الْإِسْلَامَ!

عِبَادَ اللهِ! تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

تَذَكَّرُوا قِيَامَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

اجْتَهِدُوا فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ عَلَىٰ دِينِ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-!

خُذُوا أَبْنَاءَكُمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

أَقْبِلُوا عَلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

عِيشُوا الْإِسْلَامَ!

لَا تَقْرَؤُوا فَقَطْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا تَسْمَعُوا فَقَطْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا تَتَعَلَّمُوا التَّعَالِيمَ فَقَطْ، وَلَكِنْ عِيشُوا تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ -عِبَادَ اللهِ-!

لَا يُحِسُّ إِنْسَانٌ هَذَا الدِّينَ، وَلَا يَجِدُ إِنْسَانٌ لَذَّةَ هَذَا الدِّينِ إِلَّا إِذَا عَاشَهُ سُلُوكًا وَمَنْهَجًا، وَأَمَّا الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ يَتَوَقَّفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ.. يَسْمَعُونَ، يَقْرَؤُونَ، يَحْفَظُونَ، ثُمَّ لَا يُجَاوِزُونَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْعَمَلِ؛ فَأُولَئِكَ بِمَبْعَدَةٍ عَنِ الْإِحْسَاسِ بِلَذَّةِ الدِّينِ.

عِيشُوا دِينَ اللهِ فِي أَرْضِ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-!

وَاعْلَمُوا «أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -كَمَا فِي «مُوَطَّأِ مَالِكٍ -عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ-»- حَفِظَ الْبَقَرَةَ.. حَمَلَ الْبَقَرَةَ فِي ثَمَانِي سِنِينَ»(١)؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَحْفَظَهَا -بِفَضْلِ اللهِ- فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ لَكَانَ، وَلَكِنَّهُ يَأْخُذُ عَشْرَ آيَاتٍ يَفْقَهُهُنَّ وَيَتَعَلَّمُهُنَّ ثُمَّ يَعْمَلُ بِهِنَّ، فَيَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا، وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّعَالِيمُ زِينَةً وَشَقْشَقَةَ كَلَامٍ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ الْمُرَّ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ.

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ -عِبَادَ اللهِ-، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٩].

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ وَارْجِعُوا إِلَيْهِ!

أَقْبِلُوا عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَقْبِلُوا عَلَيْهِ!

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

اللَّهُمَّ عَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا، عَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا.

اللَّهُمَّ أَدْرِكْ أُمَّةَ نَبِيِّكَ ﷺ، اللَّهُمَّ هَيِّءْ لَهَا أَمْرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ الطَّاعَةِ وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، وَيُقْضَىٰ فِيهِ بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٩٥).

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

اللَّهُمَّ أَحْيِنَا مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لَنَا، وَتَوَفَّنَا إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لَنَا.

نَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، اللَّهُمَّ اشْرَحْ صُدُورَنَا، وَأَصْلِحْ بَالَنَا، اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا مِمَّا يُرْضِيكَ آمَالَنَا.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِينَا إِلَيْكَ أَخْذَ الْكِرَامِ عَلَيْكَ.

أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ، وَاجْمَعِ الْجَمِيعَ عَلَىٰ طَاعَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلَاةَ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ صَالِحُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ خُذْ بِنَوَاصِيهِمْ إِلَيْكَ، وَأَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، اجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِّدْ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْبُرْ كَسْرَ الْمُسْلِمِينَ، اجْبُرْ كَسْرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، آمِنْ رَوْعَاتِ الْمُسْلِمِينَ، حَصِّنْ فُرُوجَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، آمِنْ رَوْعَاتِ الْمُسْلِمِينَ، أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، احْقِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، احْقِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ.

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْكَفَرَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، أَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ،

أَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، أَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، خَالِفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، اجْعَلْ تَدْبِيرَهُمْ تَدْمِيرَهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ تَدْبِيرَهُمْ تَدْمِيرَهُمْ، أَدِرِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ، نَجِّ مِنْ مَكْرِهِمُ الْمُسْلِمِينَ.

أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، تُبْ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ، تُبْ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ احْرُسِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَبِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِمْ، لَا يَهْلِكُونَ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا، لَا يَهْلِكُونَ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا.

اللَّهُمَّ صُنْ عَوَاصِمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ عُدْوَانٍ وَسُوءٍ، صُنْ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ، صُنْ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ، اجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ، وَحِّدْ صُفُوفَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ، اكْتُبْ لَنَا الْيَوْمَ الْبَرَاءَةَ مِنَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا أَجْمَعِينَ، وَاحْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَبِرُكْنِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، لَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ» - خُطْبَةُ عِيدِ الْأَضْحَىٰ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٣هـ.

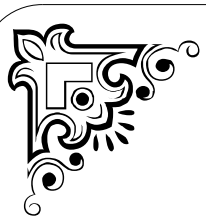

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

دِينُ اللهِ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَىٰ بَقَاءِ أَحَدٍ أَوْ ذَهَابِهِ..... ٤

الثَّبَاتُ عَلَىٰ الدِّينِ فِي زَمَانِ شُيُوعِ الْفِتَنِ..... ٧

الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ سَبِيلُ الْمَخْرَجِ مِنَ الْفِتَنِ..... ١٠

وَاقِعُ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ!..... ١٦

مَنْ مِنْكُمْ يَعِيشُ لِدِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا؟!! ١٨

الرُّجُوعُ إِلَىٰ الدِّينِ سَبِيلُ رَفْعِ الذُّلِّ عَنِ الْأُمَّةِ..... ٢٠

الْيَقِينُ بِنَصْرِ اللهِ الْأُمَّةَ، وَحَقِيقَةُ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ..... ٢٢

تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ، وَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً! ٢٧

الْفَرْحَةُ بِعِيدِ الْفِطْرِ الْمُبَارَكِ..... ٣١

صِلَةُ الرَّحِمِ وَالصَّدَقَاتُ فِي الْعِيدِ..... ٣٥

عِيشُوا الْإِسْلَامَ!..... ٣٨